اي انها معرب «زركون»). قال: وليست بمعروفة في اسماء الحمر زَرْكِون (كذا وقال مصححهُ: قولهُ: غيرهُ زركون. عبارة التهذيب: وقال غيرهُ اي غير شمر معربة زركون اه) فصيّرت الكاف جيماً يريدون: لون الذهب اه»

قلت: اما كون الزَّرَجون بمعنى الماء الصافي يستنقع في الجبل عربيةً صحيحة. فقد يكون الامر كذلك الّا انَّ الكلمة لا تخلو من عجمة في الاصل ولا شكَّ انها اعجميَّة بهذا المعنى ايضاً لانَّ المادَّة كلها غريبة. وسمّوا الماء المذكور بهذا الاسم كما سمّوا بالجريال: «كل ما خَلُص من لون أحمر او غيره» و«صَفْوة الخمر» ولكون مثل الماء المذكور يكون دائماً صافياً رائقاً جاز تسميتهُ بذلك. اما مجيء الزَّرَجون بمعنى الكرم فهو من باب تسمية المعلول باسم العلَّة وبقيَّة المعاني تشبهُ معاني لفظة الجريال فاحفظها من الأغفال. يحفظك الرب المتعال

شركة ملاحيَّة قديمة في بيروت

نبذة للاب لويس جلابرت اليسوعي مدرّس الكتابات القديمة في المكتب الشرقي (تتمَّة)

انَّ من امعن النظر في الكتابة التي نشرناها (ص ٦١٧—٦٢١) ظهر لهُ فحواها واستخرج معنى شكاية الملّاحين مما يأمر به ناظر الميرة للوكيل الامبراطوري فان يليانوس يتقدَّم الى الوكيل بامرين الاوَّل بان تُتَّخذ مقاييس شرعيَّة ثابتة يُعمل عليها طابع الدولة والثاني بان يُعطى خفرٌ للملّاحين ليصحبوا السفن ويسلّموها الى ايدي اصحابها. وهذان الامران يدلّان على انَّ الملّاحين تشكّوا لناظر الميرة من سرقة القمح عند شحنهِ وفي طريقهم وذلك ان الذين كانوا يسلّمونهم في مدينة أرل القمح المجلوب من اواسط بلاد غالية اما على العجلات واما على نهري الرون والسون لم يسلّموهُ تماماً بل يبخسون فيهِ حقوقهم لانهم كانوا اذا كيّلوا الميرة مسحوا الكيلة بمقاييس حديديَّة في وسطها بعض التحديب فيمكسوهم على كل كيلة شيئاً من القمح فيبلغ المكس على ألوف من الكيلات مبلغاً عظيماً

ثمَّ كان الملاحون عند وصولهم الى مرفأ اوستية يسلّمون القمح الى العمّال الموكول اليهم نظارة الميرة فكان هؤلاء يعيدون قياسها فيجدون نقصاً في الكيلات بحيث تنقص

مثلاً كل الف كيلة عشر كيلات فكان هذا النقص منسوباً الى الملاحين فيُخصم من اجرتهم لانهم كانوا مسؤولين عما يُفقد من الكمية المستارة على سفنهم

فيُليانوس سدًّا لهذا الخلل ودفعاً لشكايات الملاحين يأمر وكيل الامبراطور بان تُتخذ مقاييس ثابتة من الحديد تكون ساوية ويُجعل عليها طابع الحكومة

وكان للملاحين شكاية أخرى عرضوها على يليانوس وهي ما كان يلحق بهم من الاذى في طريقهم لقلة الامان او لما كان يخرج على ناقلي الميرة من المتلصصين في الطريق او في المرافئ التي يحتلُّونها. فدفعاً لهذه الشكاية يأمر يليانوس الوكيل الامبراطوري بان يُعطى الملَّاحون خفرًا يصحبهم ويدافع عنهم وعن ميرتهم فيلتزمون ايطالية سالمين فتبطل بذلك كل الشكايات ويُعطى كل انسان حقَّهُ

فترى ما يُستفاد من الكتابة التي نحن في صددها المكتشفة في دير القمر لمعرفة احوال الرومانيين في القرن الثاني للمسيح في نقلهم الميرة من البلاد البعيدة الى ايطالية لاسيَّما انهُ لم يبلغنا من هذه الاعلامات الَّا النزر القليل في تآليف القدماء

*

يبقى علينا ان نبحث عن امر آخر يهمُّ تاريخ الشرق عمومًا وتاريخ بيروت خصوصاً فهل يا تُرى يمكننا ان نستند الى هذه الكتابة لبيان وجود علاقات ومعاملات تجاريَّة بين مدينتي بيروت وأرل وهل كانت شركة الملاحين في أرل تتوسط بين بلاد الشرق والغرب لتشحن الميرة من ثغور الشام الى ايطالية

وذلك انَّ حفر هذه الصفيحة لا يخلو من احد امرين اما ان تكون كُتبت في بلاد غالية فنقلها بعض الفرنج الى الشرق في القرون المتوسطة على الاصحّ واما ان يكون كُتبت في بيروت نحو السنة ٢٠١ بعد المسيح اذا ثبت قولنا عن يليانوس كاتبها انهُ هو كلوديوس يليانوس ناظر الميرة في ذلك العهد

وان قيل انها كُتبت في بيروت فيكون ذلك اما بطلب الملاحين في أرل الذين رأوا انَّ السفُن المرسلة اليهم من شركائهم في بيروت كانت تُصاب بأذًى ويُكسر قحمها او يُسلب فتكون هذه الكتابة أُرسلت صورتها الى عملائهم في بيروت ليعلنوا بها ما ينالهم من حماية الدولة في نقل الميرة. واما ان يكون الملاحون الارلِّيون قدَّموا شكايتهم

لناظر الميرة في بيروت فاراد الناظر ان يراعي حقوقهم فامر ان تُرقم هذه الصحيفة في بيروت نفسها كشاهد ناطق على رعاية الحكومة لجانبهم

وسواء قيل انها كتبت في أرل وأرسلت الى بيروت او انها حُفرت في بيروت فكلا الامرين يستدعي القول انهُ كانت معاملات تجاريَّة بين وأرل وانَّ نوتيَّة مدينة أرل كانوا ينقلون القمح من بيروت ونواحيها الى ايطالية ولاسيما الى رومية على طريق اوستية

فبياناً لذلك حاول المسيو بارو (Barot) ان يثبت انَّ المعاملات بين مدن الغرب كارل وليون ومدن الشرق كبيروت والاسكندريَّة كانت عديدة واسعة النطاق . ومن البراهين التي قدَّمها دعماً لرأيهِ انهُ وجدت في مدينة ليون طوابع ديوانيَّة من الرصاص عليها اسماء مدن الشرق كصور والاسكندريَّة وعلى غيرها تصاوير مصريَّة . وكانت هذه الطوابع تُجعل على البضائع الشرقيَّة المرسلة الى بلاد الغرب فتجري بها السفن الى غالية سائرة في وادي الرون . وهو امرٌ لا شكَّ في صحَّتهِ

ولنا شاهد آخر على ما كان يجري من المعاملات التجاريَّة بين الشرق وبلاد غالية وخصوصاً مدينة أرل حيث بلغت حركة التجارة مبلغاً فائقاً . وهذه الشهادة مع كون تاريخها سنة ٤١٨ للمسيح تصدق بالقياس والمشابهة عن احوال مدينة أرل في اوائل القرن الثالث . والشهادة المذكورة منشور للملك هونوريوس في اسواق مدينة أرل (١ يقول في جملة كلامهِ ما معرَّبهُ : « انَّ لهذه المدينة موقعاً غاية في الاحكام تتوفَّر فيها اصناف المرافق التجاريَّة وتتقاطر اليها فئات التاجرين بحيث يجوز القول انهُ لأسهل ان تقتنى فيها محصولات كل البلاد . . . ففي مدينة أرل تتراكم كل ثروة الشرق وكل الاقاليم الغربيَّة وجميع مصنوعات اشور الناعمة فلا يفوتك شيءٌ من كل ذلك البتَّة تجدها ثمَّة كانها في موردها الخاصّ (٢

فترى من ثمَّ انَّ مدن وادي الرون كانت حافلةً بمحصولات الشرق عموماً وسلع بلاد

---

١) وهذا هو اسم المنشور باللاتينيَّة (Constitutio Honorii ad Agricolam de conventibus annuis in urbe Arelatensi habendis

٢) راجع E. Hœnel: *Corpus legum ante Justinianum latarum*. 1857, p. 238 seqq.

سوريَّة خصوصاً . ولكن أنستطيع ان نستنتج من هذه النصوص انهُ كان بين مدينة أرل واساكل سوريَّة معاملات تجاريَّة متواصلة وانَّ نوتيَّة أرل كانوا يأتون الشرق ويقصدون بيروت حيث كانت تتوارد كل بضائع البلاد فتُنقل منها الى بقيَّة الجهات ؟ افما كان ممكناً وهل يجوز القول بانَّ هؤلاء الملَّاحين كانوا ينقلون الميرة من بيروت الى ايطالية خدمةً للرومانيين ؟

انَّ جوابنا على هذا السؤال سلبيٌّ فانَّنا لا نرى سبباً موجباً للقول بهذه العلائق بين بيروت وأرل ما لم يوجد نصٌّ صريح يثبت ذلك قطعيًّا . ولو افترضنا انَّ الرومانيين كانوا يحتاجون الى من ينقل لهم الميرة من الشرق فكان الاحرى بالاسطول الروماني الراسي في الاسكندريَّة ان يعاني ذلك لاسيما انَّ هذا الاسطول على قول الذين يريدون تقرير هذه المعاملات التجاريَّة لم يكن فقط معدًّا للحرب بل كان يُتَّخذ ايضاً لمنافع أُخرى ولصوالح الرومان التجاريَّة

امَّا رأينا الذي نرجّحهُ في هذا الصدد انَّ نقل الميرة من الثغور الشرقيَّة الى ايطالية كان يتمُّ على ايدي السوريين انفسهم فانَّ الفينيقيين طالما كانوا عُرفوا بحذقهم في فنّ الملاحة حتَّى حازوا قصب السبق في خوض البحار فلم يكن ليثبّط همهم شيءٌ من اهوالها ولا تردّ عزائمهم انواؤها واخطارها . فكيف يقبل العقل انهم تركوا للغرباء نقل ميرة الشرق بينما كانت سفنهم تغطّي وجه البحار. لاسيما انهم كانوا يترصَّدون كل فرصة تفتح لهم موارد جديدة للارباح والمكاسب . وقد روى بعض العلماء آخرًا ان هؤلاء الفينيقيين على عهد الامبراطور مرقس اوراليس نحو سنة ١٦٦ للمسيح سعوا بنقل الحرير بحرًا من اقاصي الشرق الى بلادهم فيزعمون انَّ لسيطيلًا فينيقيًّا بلغ جهات التكين لهذه الغاية (١

وممَّا يؤيد رأينا في نسبة هذه العلائق التجاريَّة بين الشرق والغرب للسوريين انفسهم انَّ عددًا وافرًا منهم كانوا يسكنون في الاقاليم الغربيَّة وخصوصاً في بلاد غالية وعليهِ فانَّنا بدلًا من ان نسلّم باقامة محلات تجاريَّة في بيروت لاهل أرل نرى الاولى ان

(١ راجع معجم المادّيات اليونانيَّة والرومانيَّة Darenberg et Saglio s. v. « Mercatura »
C. R. Ac. 1897, p. 526 راجع ايضاً « turn » p. 1780

يُقال بان اهل سوريَّة كانوا يرسلون بضائعهم الى بلاد الغرب لشركائهم من بني جلدتهم الذين كانوا فتحوا هنالك لحسابهم بيوتاً تجاريَّة

هذا وقد وُجدت كتابات في كل المدن التجاريَّة الغربيَّة مشحونة باسماء السوريين القاطنين فيها وان لم تدلّ على اشغالهم فيها . الَّا البعض منها مثل الكتابة اليونانيَّة واللاتينيَّة المكتشفة في جناي (Genay) قريباً من مدينة ليون (١ جاء فيها ذكر سوري اسمهُ تيم (Θεῖμος) اصلهُ من عتيل (Ἀθηναῖος) من اهل مدينة قنوات Καναθαῖος ورئيس عشر فيها ويدعى « تاجرًا في مدينة ليون واقليم اكويتانية » فمجرَّد ذكر هذا التاجر يحملنا على القول بانهُ كان يبيع في بلاد غالية سلع الشرق ومحصولاته التي كانت ترده من مواطنيه في سوريَّة يرسلونها الى أرل على سفنهم الخاصة ثم تُنتقل منها على الانهر الى ليون وما فوقها

وخلاصة القول لا نرى انَّ شركة الملاحين في أرل كان لها في بيروت مقام تجاري اما الحجج التي يستند اليها الكتبة المحدثون فانها ليست بمقنعة اذ تبيّن فقط العلاقات الموجودة بين الشرق والغرب لكنَّها لا تثبت هذه السيطرة لنوتيَّة أرل كما يزعمون . اما وجود الصفيحة المعدنيَّة التي نحن في صددها فليس هو برهانًا قاطعاً لانَّ هذه الصفيحة كان يسهل نقلها من الغرب الى الشرق فلا شيء يدلّنا على كونها حُفرت في بيروت وأنَّ الفونج لم يأتوا بها الى سوريَّة في بعض اسفارهم لاسيما انها بعد حفر كتابتها القديمة قد نقشت من ورائها نقشًا جديدًا بيد احد الصنَّاع الاوربيين . فالاجدر ان يُقال انها من الآثار المفقودة التي تلاعبت بها ايدي الحدثان فنقلتها من غالية حيث كتبت الى بلاد الشرق حيث وُجدت بعد فقدها . فليس اذن شأنها متوقفاً على اصلها ومحلّ كتابتها بل على مضمونها المفيد لتعريف احوال تلك المدة على عهد الرومان والله اعلم

(١ راجع الكتاب الذي عنوانهُ Inscriptiones græcæ ad res romanas pertinentes, I n° 25